تحقيق يكشف خفايا الصعود العنيف لمحمد بن سلمان إلى الحكم

نشرت صحيفة الغارديان البريطانية تحقيقا موسعا يتناول خفايا الصعود العنيف لولي العهد محمد بن سلمان إلى الحكم وقصة اللحظات الأخيرة قبيل عزل ولي العهد السابق محمد بن محمد بن نايف.

وأبرز التحقيق للمرة الأولى قصة حياة محمد بن نايف طليقا لأخر مرة قبل أن يتم احتجازه طوال الليل، ومع اقتراب ضوء النهار، خرج من قصر الملك في مكة، حيث كان حراسه الشخصيون، الذين كانوا يحرسونه في كل مكان، في عداد المفقودين.

بحسب التحقيق جرى اصطحاب محمد بن محمد بن نايف إلى سيارة تنتظر في الخارج.

لقد كان حراً في المغادرة – لكنه سرعان ما اكتشف أن الحرية لا تختلف كثيراً عن الاحتجاز. عندما غادرت سيارته من بوابات القصر، ارسل الأمير محمد بن محمد بن نايف سلسلة من الرسائل النصية المذعورة.

كتب الى مستشاره الأكثر ثقة، والذي كان قد سافر بهدوء الى خارج المملكة قبل أسابيع قليلة "كن حذرا جدا .. لا تعود!".

عندما وصل محمد بن نايف إلى قصره في مدينة جدة الساحلية بعد بضع ساعات، وجد حراسًا جددًا يديرون العقار. كان من الواضح أنه وضع قيد الإقامة الجبرية.

كتب الى مستشاره مرة أخرى "ا يوفقنا دكتور. المهم أنه يجب عليك توخي الحذر، ولا يجب أن تعود تحت أي ظرف من الظروف".

في الليلة السابقة، 20 يونيو 2017، أُجبر محمد بن نايف، ابن شقيق الملك، وريث العرش السعودي على التنحي في حلقة وصفها لي أحد المطلعين على شؤون العائلة المالكة بأنها نسخة سعودية من فيلم "الاب الروحي".

محمد بن نايف، الذي أشرف على الأمن الداخلي، كان أقرب حليف للسعودية لوكالة المخابرات المركزية.

في وقت سابق من ذلك العام، منحه مدير وكالة المخابرات المركزية آنذاك مايك بومبيو ميدالية تقديراً لجهوده في مكافحة الإرهاب التي أنقذت أرواح الأمريكيين، وقبل عامين، بعد أن بدأ الملك سلمان عهده، أصبح محمد بن نايف وليًا للعهد في سن 55، مما جعله الثاني في ترتيب العرش.

لكن الصراع وراء الكواليس كان عبارة عن منافسة شرسة بين محمد بن نايف وابن عمه، نجل الملك محمد بن سلمان، أو MBS كما هو معروف، والذي صعد من الهامش ليصبح نائبًا لولي العهد.

قبل وقت قصير من انقلاب القصر هذا، في 5 يونيو 2017، وصلت التوترات بين الأمراء إلى نقطة الغليان بعد أن فرض محمد بن سلمان وغيره من المستبدين الإقليميين حصارًا عقابيًا على قطر المجاورة.

لطالما أزعجت الإمارة الصغيرة الغنية بالغاز جيرانها العرب الأكبر من خلال تحركاتها الاستفزازية، مثل منح وقت للبث للإسلاميين والمعارضين الإقليميين على قناتها الإخبارية المؤثرة قناة الجزيرة.

كان لدى محمد بن نايف أيضًا مشاكل مع قطر، لكنه فضل الدبلوماسية الهادئة على نهج محمد بن سلمان العدائي.

دون علم ابن عمه، فتح محمد بن نايف قناة اتصال سرية مع حاكم قطر تميم بن حمد آل ثاني. أرسل محمد بن نايف رسالة نصية لمستشاره في ذروة الأزمة "اتصل بي تميم اليوم، لكنني لم أجب، أريد أن أرسل له رقم هاتف مشفر للاتصال".

في 20 يونيو 2017، في خضم تلك الأزمة، تمت دعوة محمد بن نايف لعقد اجتماع في قصر الملك سلمان في مكة – وهو بناء عملاق ذو جدران رخامية يطل على الكعبة المكعبة الشكل، أقدس مزار في الإسلام.

ووفقًا لمصادر قريبة من محمد بن نايف، فانه عند وصوله، تلقت عناصره الأمنية تعليمات بالانتظار في الخارج، ولمنع حدوث أي تسريبات، تم الاستيلاء على جميع هواتف الزوار المحمولة، بما في ذلك هواتف موظفي القصر، من قبل حراس موالين لمحمد بن سلمان.

أحد كبار أعضاء العائلة المالكة، الذي حاول دخول القصر بعد محمد بن نايف، تم إبعاده من عند البوابات.

يُزعم أن محمد بن نايف دخل إلى غرفة مع تركي آل الشيخ، المقرب من محمد بن سلمان المعروف باسلوبه الفض وميله للتخويف ولاقتناء ساعات ريتشارد ميل باهظة الثمن (تمت ترقية الشيخ لاحقًا لرئاسة الهيئة العامة للترفيه – وهي وكالة تسعى إلى تلطيف صورة السعودية من خلال، من بين أمور أخرى، استضافة فعاليات عملاقة في الصحراء).

ويُزعم أن الشيخ حبس محمد بن نايف في الغرفة لساعات، وضغط عليه لتوقيع خطاب استقالة ومبايع محمد بن سلمان.

في البداية، رفض محمد بن نايف لكن وفقًا لمصدر مقرب من الأمير، فقد قيل له إنه إذا لم يتنازل عن مطالبته بالعرش، فسوف يتم اغتصاب أفراد عائلته.

تم حجب دواء محمد بن نايف لارتفاع ضغط الدم والسكري عنه، وقيل له إنه إذا لم يتنحى عن طيب خاطر، فإن وجهته التالية ستكون المستشفى.

قال مصدر آخر من العائلة المالكة إنه كان خائفًا جدًا من التعرض للتسمم في تلك الليلة، لدرجة أنه رفض حتى شرب الماء.

سُمح لمحمد بن نايف بالتحدث مع اثنين من الأمراء في هيئة البيعة، الهيئة الملكية التي تصدق على تسلسل الخلافة، وشعر بالصدمة عندما علم أنهم قد بايعوا بالفعل محمد بن سلمان.

بحلول الفجر، كان كل شيء قد انتهى. فقد استسلم محمد بن نايف للقلق والإرهاق، وتم إجباره على الدخول إلى غرفة مجاورة، حيث كان محمد بن سلمان ينتظر مع كاميرات التلفزيون وحارس يحمل مسدسًا.

وأظهرت لقطات نشرتها محطات الإذاعة السعودية لمحة موجزة للشيخ وهو يساعد الامير المعتقل وهو يرتدي رداء مزينًا بالذهب، وبينما كانت الكاميرات تدور، اقترب محمد بن سلمان من ابن عمه وانحنى بطريقة مسرحية لتقبيل يده وركبته.

كتب محمد بن نايف لاحقًا في رسالة إلى مستشاره: "عندما بايعت، كان هناك مسدس في ظهري".

في الأيام التي تلت ذلك، أزيلت ملصقات تحمل صور الامير محمد بن نايف من المباني العامة، واصبح محمد بن سلمان الآن الاقرب الى من يتولى العرش، وكان أقوى رجل في البلاد في سن 31.

ظل الملك الثمانيني رئيسًا للدولة، لكن محمد بن سلمان أصبح الحاكم اليومي لها، مع سيطرة مطلقة على جميع فروع السلطة سواء الأمن والاقتصاد والنفط السعودي.

محمد بن نايف، حبيب المخابرات الأمريكية، الذي افترض أنه سيكون الحاكم القادم للمملكة، أصبح الآن سجينًا، لكن بالنسبة له، كان الأسوا لم يأت بعد.

تم حجب تفاصيل الانقلاب الذي جرى في القصر، وصراع القوة الذي أدى إليه، إلى حد كبير عن الأنظار العامة في ذلك الوقت، مع تسريب قصاصات من المعلومات إلى الصحافة.

على سبيل المثال، تم تغذية وسائل الإعلام الدولية بما يسميه شركاء محمد بن نايف بمزاعم كاذبة بأنه قد تم إبعاده عن الخدمة العامة لأنه كان عاجزًا بسبب إدمان المورفين والكوكايين.

لكن الوصول إلى الحقيقة صعب بشكل خاص في بلد تكون فيه دولة المراقبة قوية للغاية لدرجة أن بعض السعوديين يضعون هواتفهم في الثلاجة أثناء مناقشة الأمور الحساسة.

لكن سردًا مفصلاً لأحداث عام 2017، وما تلاها من آثار مروعة، أصبح ممكنًا الآن، بفضل تسريبات من هنا وهناك لأسرار القصر من قبل عدد قليل من كبار أفراد العائلة المالكة ومصادر أخرى ذات صلة جيدة من الذين تم تجريدهم من نفوذهم وثرواتهم خلال عهد محمد بن سلمان، وهناك من سجن وعذب منهم.

من بين هذه المصادر رجل يدعى سعد الجبري، أقرب مستشار لمحمد بن نايف ورئيس المخابرات. كان الجبري هو الذي تلقى رسائل محمد بن نايف بعد إطلاق سراحه من قصر الملك بعد الانقلاب.

الجبري البالغ من العمر 63 عامًا كان يعمل منذ فترة طويلة في الظل، واعتبره الكثير ممن عملوا معه أقوى شخصية من خارج العائلة المالكة في السعودية.

وصفه مسؤول أمريكي سابق عمل معه لسنوات بأنه "حلقة الوصل العميقة للدولة" بين السعودية والقوى الغربية.

في السنوات التي أعقبت أحداث الحادي عشر من سبتمبر، تمت ترقية الجبري داخل وزارة الداخلية، وأصبح في النهاية رئيسًا لعمليات مكافحة الإرهاب، وقام الجبري وراعيه محمد بن نايف معًا بتحديث جهاز الأمن والمراقبة في المملكة، كما جرى اتهامهما باستهداف النشطاء السلميين بحجة مكافحة الإرهاب وإرساء أسس الدولة البوليسية التي سينقلب عليها محمد بن سلمان لاحقًا.

ظهرت الرسائل النصية بين محمد بن نايف والجبري لأول مرة عبر الإيداعات القانونية في كل من الولايات المتحدة وكندا وفي حكم الإنتربول الذي رفض طلبًا سعوديًا باعتقال الجبري في الخارج وتمت المصادقة على صحة الرسائل الواردة في تلك الوثائق من قبل خبير في التدقيق الرقمي عينته شركة نورتون روز فولبرايت، شركة المحاماة الدولية التي تمثل الجبري، والتي بحوزتها جهاز أي فون الخاص به، وفقًا لإفادات المحكمة.

كما شارك فريق الجبري معي بشكل منفصل عددًا قليلاً من الرسائل التي لم يتم نشرها من قبل.

على مدى عقود، مرت عملية انتقال العرش بين أبناء عبد العزيز آل سعود، مؤسس الدولة السعودية الحديثة، مما ضمن توازنًا دقيقًا للقوى بين مختلف فروع العائلة المالكة الواسعة.

كان من الممكن أن تشهد خلافة محمد بن نايف انتقال التاج إلى الجيل الثاني للمرة الأولى، ولكن مع

ذلك انتقل إلى فرع مختلف من العائلة، مع الحفاظ على هذا التوازن الدقيق ولكن تحقق بعد انقلاب في القصر – الذي لم يكتف بإبعاد المنافس الرئيسي لمحمد بن سلمان، بل دمر أيضًا نموذج الخلافة القديم الذي كان يحظى بتقدير الأقدمية والإجماع داخل الأسرة، من خلال إرساء انتقال السلطة مباشرة من الأب إلى الابن داخل فرع واحد من العائلة.

لقد مكن ذلك محمد بن سلمان من اكتساب سلطة أكبر من أي حاكم سابق، حتى قبل أن يتولى العرش رسميًا.

كان الانقلاب تتويجا لشهور من العداء بين محمد بن سلمان ومحمد بن نايف، وكانت إحدى نقاط الصراع الرئيسية هي تنافسهم لكسب التأييد مع الإدارة الجديدة للرئيس دونالد ترمب.

يقول أشخاص مقربون من محمد بن نايف إنه كان يستمع سرًا لمكالمات محمد بن سلمان مع مساعديه وحلفائه مثل جاريد كوشنر، صهر ترامب ومستشار البيت الأبيض وساعده هذا التنصت على تتبع مناورات محمد بن سلمان في واشنطن.

أشارت نسخة من مكالمة تم اعتراضها في ربيع عام 2017، والتي عرضها محمد بن نايف على الجبري، إلى أن محمد بن سلمان كان يناقش عملية انتقال الخلافة الملكية مع كوشنر.

في تلك المكالمة، أخبر محمد بن سلمان كوشنر أنه أقام علاقات وثيقة مع جميع الوكالات الأمريكية "باستثناء ثلاث".

عندما رأى الجبري النص، استنتج ان الوكالات الثلاث تعني وكالة المخابرات المركزية ومكتب التحقيقات الفيدرالي ووكالة الأمن القومي – المؤسسات التي فضلت العمل مع الامير محمد بن نايف منذ فترة طويلة.

بالنسبة له ولراعيه، كان من الواضح أن محمد بن سلمان كان يحاول تعزيز الدعم الأمريكي لخلافته. في مايو 2017، حاول محمد بن نايف شق طريقه في البيت الأبيض في عهد ترامب واستأجر شركة سونوران بوليسي قروب، وهي شركة ضغط في واشنطن لها علاقات وثيقة بفريق ترامب.

تم تعيين سونوران – التي تم تغيير اسمها منذ ذلك الحين إلى ستريك للدبلوماسية العالمية على اسم رئيسها، عضو اللوبي روبرت ستريك – لتقديم "خدمات استشارية واسعة" لمصلحة وزارة الداخلية التابعة لمحمد بن نايف في واشنطن.

قال أشخاص مقربون منه إن محمد بن نايف فهم أن سجله السابق لم يكن له تأثير كبير مع الرئيس الصاخب غير التقليدي الذي سيستمر في علاقة متوترة مع مجتمع المخابرات الأمريكي وأراد إقناع الرئيس الجديد بأنه ليس مجرد شريك طويل الأمد، ولكنه أكثر قيمة من ابن عمه.

شارك الجبري بشكل مباشر في التفاوض على عقد ضغط بقيمة 5.4 مليون دولار نيابة عن الوزارة.

مع انتشار خبر العقد، خشي الجبري من الوقوع ضحية للصراع بين الاميرين المتحاربين وفي مايو 2017، تسلل بهدوء إلى تركيا، قبل أيام قليلة من زيارة ترامب للرياض.

كانت مخاوف الجبري مبررة. فبعد فترة وجيزة من مغادرته، قال إنه تلقى خبرًا مفاده أن الموقع الرئيسي على العقد – ضابط المخابرات السرية تحت قيادة محمد بن نايف – تم احتجازه من قبل الموالين لمحمد بن سلمان واستجوابه بشأن جهود الضغط.

وفي 4 يونيو 2017، أرسل الجبري رسالة نصية إلى عبد العزيز الهويريني، وهو مسؤول أمني مخضرم، ليسأله عما إذا كان يجب أن يستمر في "الصيام في البرد"، في إشارة مشفرة للبقاء في تركيا.

رد هوريني، الذي يعمل الآن تحت إشراف محمد بن سلمان، بأنه يجب عليه البقاء في الخارج وفي 17 يونيو، أرسل الهويريني رسالة نصية أخرى إلى الجبري، يحذره فيها من أن الموالين لمحمد بن سلمان "متحمسون جدًا" لاعتقاله أيضًا.

في غضون ذلك، أجبرت المعارضة الغاضبة من محمد بن سلمان محمد بن نايف على إلغاء عقد ستريك وبحسب الجبري، فأن محمد بن نايف ارسل له تحذيرا من أن محمد بن سلمان قد رأى العقد على أنه مؤامرة لنسف علاقته مع عائلة ترمب وكان في طريقه للانتقام و "سفك الدماء".

في 18 يونيو، تلقى الجبري رسالة نصية مفاجئة من محمد بن سلمان، يطلب منه العودة إلى المملكة للمساعدة في حل "صراعات" غير محددة مع محمد بن نايف.

كتب محمد بن سلمان لسعد الجبري وبنبرة تصالحية بشكل غير عادي: "لا أعتقد أن هناك من يفهم [محمد بن نايف] أفضل منك".

كانت هناك تاريخًا سيئًا يجمع محمد بن سلمان والجبري منذ عام 2015، عندما طرد الملك سلمان، بناءً على طلب MBS على ما يبدو، الجبري من منصبه لمقابلته سراً مدير وكالة المخابرات المركزية آنذاك جون برينان ووزير الخارجية البريطاني آنذاك فيليب هاموند دون إبلاغ تفاصيل الاجتماعات إلى العاهل.

ومع ذلك، واصل الجبري العمل مع محمد بن نايف بشكل غير رسمي، معتبراً إقالته إحدى محاولات محمد بن سلمان العديدة لإضعاف راعيه.

أصر محمد بن سلمان في رسائله لسعد الجبري الآن: "دعنا ننسى الماضي. اغفر لي وأبرئني أمام الله.متى ستعود؟"

رد الجبري بأنه بحاجة إلى الابتعاد لتلقي العلاج الطبي، وبعد يومين من هذه الرسالة أطلق محمد بن سلمان انقلابه الشهير.

في الأشهر التي أعقبت الانقلاب، استمر الجبري في الاحتماء في تركيا. كانت أسرته المباشرة معه، باستثناء اثنين من أبنائه الذين مُنعوا من ركوب طائرة في الرياض في يوم الانقلاب.

ظل الجبري على اتصال سرا بمحمد بن نايف، الذي كانت تحركاته مقيدة، وفي الوقت نفسه، تحرك محمد بن سلمان بسرعة لتشديد قبضته على الأجهزة الأمنية، بما في ذلك وزارة الداخلية، التي جُردت من الموالين لمحمد بن نايف.

بدأ محمد بن سلمان حملة شديدة على أي خيط للمعارضة بين الرأي العام، وفي أول حملة قمع كبيرة له بعد الانقلاب، القى القبض على رجال دين مؤثرين ومثقفين لهم عدد كبير من المتابعين على وسائل التواصل الاجتماعي في سبتمبر/أيلول 2017.

في الشهر نفسه، ناشد الجبري محمد بن سلمان السماح لأبنائه بمغادرة السعودية، لكن محمد بن سلمان أصر على أن يعود الجبري أولاً لمناقشة "ملف حساس للغاية" يتعلق بمحمد بن نايف.

سأل محمد بن سلمان قائلًا في رسالة نصية "دكتور، أين يجب أن نرسل الطائرة لجلبك؟".

لكن الجبري لم يكن ينوي العودة، غير انه سعى أيضًا إلى إقناع محمد بن سلمان بأنه لا يشكل أي

تهديد، وفي رسائل مليئة بالتفاهات الخادعة، تعهد الجبري بالولاء لمحمد بن سلمان.

كتب الجبري لمحمد بن سلمان يقول: "لدي الكثير من معلومات الدولة الحساسة، لكن على الرغم من ذلك لم أسرب أي شيء لأي شخص".

كتب أمثلة عن ولائه، قائلا إنه دحض علنًا مزاعم "مجتهد" – وهو مخبر ملكي مجهول على تويتر كان منذ فترة طويلة شوكة في خاصرة العائلة المالكة السعودية ثم اضاف "أي مصير ينتظرني إذا كنت سأعود [إلى السعودية]؟ أليس الأفضل لي أن أبقى خارج المملكة، وأبقى وفيا لحكمك، وأرفض قول أي شيء يضر … وأتعاون مع سموك في كل ما يخدم الصالح العام؟ "

لم يتأثر محمد بن سلمان. لقد أرسل رسالة نصية إلى الجبري مفادها أنه سوف يلاحقه "بكل الوسائل المتاحة" ودفع التهديد الجبري للفرار من تركيا إلى كندا في وقت لاحق من ذلك الشهر.

في أواخر عام 2017، حاولت المملكة اعتقال الجبري عبر الانتربول، بدعوى أنه سرق أموالاً حكومية تقدر بالمليارات، وضغطت على كندا لتسليمه لكن فشلت المحاولتان.

ثم، في أكتوبر 2018، بحسب الجبري، تلقى تحذيرًا من جواسيس في دولة شرق أوسطية، أبلغوه أنه اصبح هدفًا للاغتيال وحثوه على الابتعاد عن السفارات والقنصليات السعودية.

في نفس الشهر، يُعتقد أن عملاء الحدود الكندية اعترضوا ورحلوا أعضاء من فرقة النمر، وهو فريق من القتلة الذين رعتهم السعودية، أثناء محاولتهم دخول البلاد على التأشيرات السياحية.

نفت الرياض أي تورط لها، لكن المؤامرة المزعومة، التي اعترفت بها السلطات الكندية ضمنيًا، كانت تحمل أوجه تشابه مروعة مع الطريقة التي قتلت بها فرقة النمر الصحفي المعارض جمال خاشقجي في الشهر نفسه داخل البعثة الدبلوماسية السعودية في تركيا.

بالنسبة للأمريكيين الذين عملوا مع الجبري، كان من الواضح أن محمد بن سلمان يعتبره تهديدًا.

قال المسؤول الأمريكي السابق الذي عمل معه، إن الجبري الذي فر من المملكة كان "مثل نائب ج. إدغار هوفر الذي يغادر العاصمة ويظهر في موسكو، هذا رجل محبوب من قبل منظمات الدولة العميقة في جميع

أنحاء العالم. إنه يعرف كل نقطة ضعف وكل خطوة قام بها أفراد العائلة المالكة السعودية".

في صباح شتوي من العام الماضي، دعيت إلى فندق خمس نجوم في واشنطن العاصمة للقاء الجبري. كان قد سافر من تورنتو الى واشنطن لزيارة ابنه خالد، طبيب القلب والمتحدث الرسمي باسم والده المنعزل.

عندما وصلت إلى ردهة الفندق، كان هاتفي يهتز مع رسالة غير متوقعة: "لنلتقي خارج الفندق" وبعد دقائق، ظهر رجل واقتادني إلى ناطحة سحاب أخرى في المنطقة.

كانت سيارة تحمل علامة "الخدمة السرية الأمريكية" متوقفة خارج البرج السكني، الذي يعتبر موطنًا لبعض النخبة السياسية في العاصمة.

في فناء مغلق على السطح كان الجبري يرتدي حلة داكنة ونظارات ذات إطار سلكي. كان جالسًا على أريكة، يحدق في منظر وسط مدينة واشنطن وكانت هناك مدفأة مثبتة على الحائط تشع الدفء وفي الخلفية، ويمكن سماع صوت ضجيج خافت لبيانو كبير.

عند وصولي، وقف الجبري وحمل قهوة ستاربكس في يده، وبدأ بالإشارة إلى المعالم: نصب جيفرسون التذكاري ونصب واشنطن والبيت الأبيض

قال الجبري إنه خلال رئاسة ترمب، تجنب العاصمة واشنطن حيث لديه الكثير من الأصدقاء المؤثرين هنا، بما في ذلك أعضاء مجلس الشيوخ من الحزبين والمسؤولين الأمنيين ومع ذلك، فقد كان حذرًا من الذراع الطويلة للدولة السعودية، كما أن علاقة ترمب الحميمة بمحمد بن سلمان جعلته أكثر حذرًا.

أثناء حديثنا، تساءل الجبري، الحاصل على درجة الدكتوراه في الذكاء الاصطناعي من جامعة إدنبرة، عن مدى اختلاف مسار حياته لو لم يقابل محمد بن نايف.

بدأ الجبري حياته المهنية في وزارة الداخلية في التسعينيات، لقد حاول ذات مرة الاستقالة من وظيفة في أرامكو، عملاق النفط الحكومي الذي يعد أكبر بقرة مربحة للمملكة.

لكن محمد بن نايف اوقفه عن ذلك. الآن تبدو أقدارهم متداخلة معًا.

منذ الانقلاب، تم اعتقال حوالي 40 من أفراد عائلة الجبري والمقربين منه في المملكة في محاولة لإكراهه على العودة.

تصدع صوته عندما قام بإخراج صور على هاتفه لطفليه المسجونين، سارة وعمر، الآن 22 و 24 على التوالي. لقد قبض عليهما في مارس 2020، وادينا في محاكمة مغلقة بغسل الأموال ومحاولة الهروب من السعودية بشكل غير قانوني. وصهر الجبري رهن الاعتقال هو الآخر.

قال الجبري إنه إذا كانت هناك فرصة للتسوية – محمد بن سلمان مع عائلته من جهة، والجبري من جهة أخرى – فسوف يقدم نبض قلبه.

أضاف وهو يتخيل المشهد: "خذ فديتك، أطلق سراح الرهائن"، لكنه يعلم أن هذا مجرد امنيات.

في أغسطس/آب 2020، بعد سجن أبنائه، رفع الجبري دعوى قضائية متفجرة في واشنطن، حيث زعم أن محمد بن سلمان أرسل فريق إعدام لملاحقته.

يعلم الجبري أنه لا يستطيع الانتصار ضد ديكتاتور قوي، لكن الإجراء يمكن أن يكون على الأقل ما وصفه أحد مساعديه بأنه "حصاة مزعجة في حذاء محمد بن سلمان".

في أوائل عام 2021، أثارت الدعوى ما اعتبره الجبري دعاوى قضائية انتقامية في بوسطن وأونتاريو، رفعتها 10 شركات سعودية مرتبطة بالحكومة أسسها محمد بن نايف في البداية لتوفير غطاء للعمليات الأمريكية السعودية ويسيطر عليها الآن صندوق الثروة السيادي للمملكة، حيث يتولى محمد بن سلمان رئاسة مجلس الإدارة.

اتهمت هذه الشركات الجبري وشركائه بالاحتيال عليهم بمبلغ 3.5 مليار دولار ونفى الجابري ارتكاب أي مخالفات وقال إن الدفاع عن نفسه سيتطلب الكشف عن عمليات وأموال الشركات التي كانت غامضة حسب التصميم لدعم الأنشطة السرية.

تشير وثائق المحكمة التي قدمتها وزارة العدل الأمريكية في بوسطن إلى أن المسؤولين الأمريكيين كانوا حريصين على تسوية خارج المحكمة بين الجبري ومحمد بن سلمان، على ما يبدو لمنع أي كشف علني عن عمليات أمريكية سرية.

لكن تلك الجهود لم يسجل لها اي نجاح.

قال لي مسؤول أمريكي، كان يعمل سابقًا في البعثة الأمريكية في الرياض، أن السعوديين غير مهتمين بالتسوية لأنهم "غير مقتنعين بأن الجبري سيبقى صامتًا".

في فبراير من هذا العام، قدم الجبري عرضًا جديدًا لمحمد بن سلمان. في رسالة إلى أحد كبار مستشاري الديوان الملكي، عرض الجبري "حلاً ماليًا وقانونيًا" ورفض فريق الجبري مناقشة تفاصيل العرض معي.

أرسلوا إلى البيت الأبيض مذكرة يطلبون فيها من المسؤولين الأمريكيين "حث القيادة السعودية على قبول عرض الاسترداد"، وقوبلت هذه الجهود بالصمت من محمد بن سلمان.

يقول أنصار محمد بن سلمان إن حرص الجبري على تسوية مالية هو اعتراف ضمني بذنبه ويقول فريق الجبري إن عدم رغبة محمد بن سلمان في التسوية يثبت أن الفساد مجرد ذريعة لملاحقة خصم سياسي.

في غضون ذلك، تستمر المعركة القانونية. في سبتمبر، رفضت محكمة واشنطن دعوى الجبري ضد محمد بن سلمان، مشيرة إلى عدم اختصاصها الشخصي (يستأنف فريق الجبري هذا الحكم).

في أواخر العام الماضي، أسقطت محكمة بوسطن الدعوى المرفوعة ضد الجبري بعد أن استندت الحكومة الأمريكية إلى "امتياز أسرار الدولة" لوقف الكشف عن معلومات الأمن القومي السرية (شركات محمد بن سلمان تستأنف هذا القرار) لكن هذه الأسرار لا تزال معرضة لخطر الكشف عنها في محكمة أونتاريو.

تُظهر إيداعات المحكمة في وقت سابق من هذا العام أن محامي الحكومة الأمريكية يعملون مع نظرائهم الكنديين لمنع هذه النتيجة.

ولكن حتى إذا استمرت الدعاوى القضائية ضد الجبري، فقد يكون من الصعب إثبات مزاعم الفساد بشكل قاطع، وهذا يعود الى سبب رئيسي هو اختفاء شاهد رئيسي، الرجل الذي أشرف على الإنفاق على مكافحة الإرهاب: محمد بن نايف.

في أواخر عام 2017، خففت ظروف الإقامة الجبرية لمحمد بن نايف، لكنه كان لا يزال ممنوعًا من السفر خارج المملكة.

أخبرني الجبري أن محمد بن نايف كان يعتقد في البداية أن أسوأ ما يمكن أن يحدث له هو فقدان ألقابه الرسمية والحصول على تعويض مالي كبير في المقابل، وتوقع أن يعامل بنفس الطريقة التي يعامل بها سلفه الأمير مقرن بن عبد العزيز، رئيس المخابرات السابق الذي أقيل من منصب ولي العهد في عام 2015.

بعد أن أقاله الملك سلمان، وفقًا لمصدر ذي مكانة جيدة، غُمر الأمير مقرن بالهدايا، بما في ذلك دفع تعويضات ملكية بنحو 800 مليون دولار، ويخت سولاندج الفاخر.

في المقابل، تم الاستيلاء على جزء كبير من ثروة محمد بن نايف.

في 10 ديسمبر 2017، أرسل محمد بن نايف خطابًا إلى بنك HSBC في جنيف يطلب فيه تحويل "أرصدة اليورو والجنيه الإسترليني والدولار الأمريكي" إلى حساب بنكي سعودي وقال مصدر مطلع على أصول محمد بن نايف إن مصرفيه ومحاميه في جنيف تجاهلوا مثل هذه الطلبات، مشتبهين في أن الأمير كان يتصرف تحت الإكراه.

رفض بنك HSBC التعليق عندما سئل عن كيفية رده على الخطاب. طلب البنك حجب اسم المسؤول الموجه في الرسالة، مشيرًا إلى مخاوف تتعلق بالسلامة.

القيمة الإجمالية لممتلكات محمد بن نايف في الخارج غير واضحة.

يقول شركاء الأمير إنه يمتلك عقارات ممتازة تقدر قيمتها بالمليارات في أوروبا والولايات المتحدة، ومع ذلك، ما هو مؤكد هو أن محمد بن نايف اضطر إلى التنازل عن جزء كبير من أصوله المحلية.

المصدر المطلع على اصوله، ومقره في أوروبا، قدم جدولاً بتفصيل لشركاته "المصادرة" وحساباته المصرفية – وكان المبلغ الإجمالي 5.22 مليار دولار.

شارك مصدر منفصل مقرب من الأمير ما بدا أنه جدول بيانات أقل حداثة بقليل مع تفصيل مماثل خلصت الى ان "القيمة الإجمالية" المصادرة 17.8 مليار ريال أو 4.75 مليار دولار.

في عامي 2018 و 2019، تمتع محمد بن نايف بحرية نسبية، رغم أنه لم يُسمح له بمغادرة المملكة. كان نشاطه المفضل، الصيد بالصقور في صحاري الجزائر غير وارد، لكن سُمح له بالذهاب للصيد داخل المملكة.

ظهر في حفلات الزفاف والجنازات الملكية.

أظهر أحد مقاطع الفيديو التي ظهرت في أواخر عام 2019 مجموعة من المؤيدين يلتقطون صور سيلفي مع الأمير ويقبلون يده.

ثم، في مارس 2020، ساءت الأمور فجأة بالنسبة لمحمد بن نايف. لقد داهمت الحكومة معتكفه الصحراوي في ضواحي الرياض، واعتقل، وقال المصدر الذي يتخذ من أوروبا مقرا له إن عددا من الموظفين اعتقلوا أيضا.

ظل محمد بن نايف في الحبس الانفرادي لأكثر من ستة أشهر.

وقال المصدر إنه خلال تلك الفترة "تعرض لسوء المعاملة بشكل خطير"، وزعم أن محمد بن نايف عُلِّق من كاحليه وتعرض للتعذيب ونتيجة لذلك، يعاني الآن من ضرر طويل الأمد في أسفل ساقيه وكاحليه، مما يجعل المشي بالنسبة له امرا مؤلمًا وقد فقد قدرًا كبيرًا من الوزن".

قرب نهاية عام 2020، وفقًا لمصدر مقيم في أوروبا، تم نقل محمد بن نايف إلى مجمع في مجمع قصر اليمامة في الرياض، المقر الرسمي للملك والمقر الرئيسي للحكومة السعودية.

وقال المصدر إنه لا يُسمح له بالخروج من وحدته الصغيرة ويتم تصويره وتسجيله تحركاته في جميع الأوقات ولا يسمح له بالزوار، باستثناء بعض أفراد الأسرة في مناسبات نادرة، ولا يمكنه رؤية طبيبه الشخصي أو ممثليه القانونيين، كما أُجبر على التوقيع على مستندات دون قراءتها.

في ربيع عام 2021، تلقى المصرفيون والمحامون التابعون لمحمد بن نايف في أوروبا طلبات جديدة لتحويل الثروة، وقال مصدر مطلع على المناقشة إن هذه شملت مكالمة هاتفية من محمد بن نايف لمحاميه في سويسرا.

رفض المحامي، الذي منحه محمد بن نايف سابقًا توكيلًا رسميًا هذه الطلبات، معتقدا أن موكله كان يقدمها تحت الإكراه.

دعا الأمير المحامي لزيارة السعودية والتحقق بنفسه.

وقال المصدر: "ظل محمد بن نايف يقول" أنا حر، سنخرج لتناول العشاء عندما تأتي إلى الرياض" لكن المحامي اصر على أن محمد بن نايف بحاجة للسفر إلى سويسرا مع أسرته للسماح بنقل امواله شخصيًا.

عندما تم الاتصال به عبر الهاتف، أخبرني المحامي أنه لا يمكنه إنكار أو تأكيد المحادثة، معربًا عن القلق بشأن التداعيات المحتملة للتفاعل الإعلامي على موكله.

وقال المصدر الذي يتخذ من أوروبا مقراً له: "السبب الرئيسي لاحتجاز محمد بن نايف هو أن ولي العهد يعتقد خطأً أنه يشكل تهديدًا للخلافة" وأضاف: "من خلال مطاردة أمواله أيضًا، يحاول محمد بن سلمان إذلال محمد بن نايف، لذلك لا يوجد أي تهديد على الإطلاق بأن يرى أي شخص ولي العهد السابق بديلاً قابلاً للتطبيق".

في فندق فخم مزين بالرخام في قلب الرياض، التقيت بأحد أبرز من يؤلفون القصص الجيدة عن محمد بن سلمان. كان يجلس بجانبه في المقهى مسؤول كبير في الديوان الملكي، والذي مكث جزءًا من الاجتماع.

من لقاءاتنا السابقة، كان من الواضح أن خبير التحوير الصحفي هذا كان جزءًا من حملة ترعاها الدولة لإبراز محمد بن سلمان في الغرب باعتباره صاحب رؤية، ويدفع بجرأة من خلال الإصلاحات الاجتماعية.

كان يريد أن يتحدث عن كيف رفع الأمير الحظر الذي دام عقودًا على قيادة النساء ودور السينما، وسمح بحفلات موسيقية كانت محظورة في السابق، وكبح سلطة هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي عارضت بشدة الاختلاط بين الجنسين. قال لي ذات مرة: "محمد بن سلمان لديه الجرأة للقيام بذلك".

هذه المرة، في إحدى الأمسيات في مارس 2020، أراد سيد التزييف، وهو منحنٍ فوق فنجان من القهوة وطبق من الكريب الممزوج بالنوتيلا، أن يضع الأمور في نصابها الصحيح بشأن اختفاء محمد بن نايف مؤخرًا.

لم تقدم الحكومة السعودية أي تعليق على سبب اعتقال محمد بن نايف، إلى جانب أحد أفراد العائلة المالكة البارز الآخر الذي يُنظر إليه على أنه منافس لمحمد بن سلمان، وهو الأمير أحمد بن عبد العزيز.

كان هذا الاجتماع أقرب ما يمكن أن أحصل عليه من تفسير رسمي.

سعى الرجل إلى نبذ رواية تنتشر في وسائل الإعلام الأجنبية مفادها أن الأمراء اعتقلوا لأن السلطات اعتقدت أنهم كانوا يخططون لإقالة محمد بن سلمان ووالده، وقال إن محمد بن سلمان ظل "مسيطرًا" وأن الاعتقالات تمت "بعد تراكم السلوك السلبي من قبل الأميرين".

كان القصد من التطهير المفاجئ فرض "الانضباط" داخل العائلة المالكة ولم يوضح طبيعة "السلوك السلبي"، لكنه قال إنه من الممكن إطلاق سراح الاميرين قريبًا. وبعد ما يقرب من ثلاث سنوات، لا يزال الاميرين رهن الاحتجاز.

قالت كيرستن فونتينروز، التي أشرفت لفترة وجيزة على سياسة الخليج لإدارة ترامب، للشؤون الخارجية بمجلس النواب الأمريكي: "دعت كل من إدارتي بايدن وترامب إلى إطلاق سراح محمد بن محمد بن نايف … في مقدمة نقاط حديثهما عند التعامل بشكل خاص مع القيادة السعودية" لكن "محمد بن سلمان لم يتحرك". لم يعد هناك الآن منافسون مرئيون على العرش وتبدو سلطة محمد بن سلمان مطلقة.

في مساره الحالي، ليس هناك ما يمنعه من خلافة والده كملك. لا يبدو أن شيئًا قد هز قبضته على البلاد سواء الاحتجاج العالمي على مقتل خاشقجي، والحرب المدمرة التي تقودها السعودية في اليمن والقمع المتزايد في الداخل

على الرغم من مخاطر سمعة التعامل مع ديكتاتور، فإن المديرين التنفيذيين في وول ستريت حريصون على إبرام صفقات مع الدولة البترولية الغنية.

يخشى النشطاء أن القرار الأمريكي الأخير بمنحه حصانة سيادية في قضية تتعلق بقتل خاشقجي قد يشجعه على ملاحقة المنتقدين.

أخبرني مصدر من العائلة المالكة، الذي ندد بشكل خاص بمعاملة محمد بن نايف لكنه التزم الصمت في الأماكن العامة لتجنب العقاب، أنه لن يتفاجأ إذا ظهر محمد بن نايف فجأة علنًا يومًا ما إلى جانب محمد بن سلمان، مباركا الرجل الذي سحقه على غرار مقطع الفيديو الذي تم تنظيمه بعد انقلاب 2017، ستكون هذه صورة أخرى تتحدث عن عهد محمد بن سلمان وصعوده العنيف إلى السلطة.